الخطبة الأولى

أيُّهـــا المؤمنـــونَ : يقـــولُ اللهُ تعـــالى: (وَمَـــا نُرْسِـــلُ بِالآيَـــاتِ إِلا تَخْوِيفًـــا)، وقـــدْ تنوعـــتْ أقـــوالُ المفســـرينَ فـــي بيـــانِ المـــرادِ بهـــذهِ الآيـــاتِ التـــي يرســـلُها ربُّنـــا تعـــالى، فمـــنْ قائـــلٍ: هـــو المـــوتُ المتفشـــي الـــذي يكـــونُ بســـببِ وبـــاءٍ أو مـــرضٍ، ومـــنْ قائـــلٍ: هـــي معجـــزاتُ الرســـلِ جعلَهـــا اللهُ تعـــالى تخويفـــاً للمكـــذبينَ، وثالـــثٌ يقـــولُ: آيـــاتُ الانتقـــامِ تخويفـــاً مـــنَ المعاصـــي ، وهـــذا الإمـــامُ ابـــنُ خزيمـــةَ: يبـــوّبُ علـــى أحاديـــثِ الكســـوفِ بقولِـــه: بـــابُ ذكـــرِ الخبـــرِ الدالِ على أنَّ كسوفَهما تخويفٌ منَ اللهِ لعبادِه.

أيُّهـــا المؤمنـــونَ : كـــلُّ هـــذه العبـــاراتِ ــ فـــي تنوعِهـــا ــ تشـــيرُ إلـــى أنَّ الآيـــاتِ لا يمكـــنُ حصـــرُها فـــي شـــيءٍ واحـــدٍ، ومـــا ذكـــرَه الســـلفُ ــ رحمَهـــم اللهُ ــ إنَّمـــا هـــو عبـــارةٌ عـــن أمثلـــةٍ لهـــذه الآيـــاتِ، ولـــيس مـــرادُهم بـــذلكِ حصـــرَ الآيـــاتِ فـــي نـــوعٍ واحـــدٍ منهـــا، وهـــذه هـــي عـــادةُ الســـلفِ فـــي أمثـــالِ هـــذه المواضـــعِ عنـــدما يفســـرونَها ، والمهـــمُ هنـــا أن يتأمـــلَ المـــؤمنُ والمؤمنـــةُ كثيـــراً فـــي الحكمـــةِ مـــن إرســـالِ هـــذه الآيـــاتِ ألا وهـــي التخويـــفُ، أي: حتـــى يكـــونَ الإنســـانُ خائفـــاً وجـــلاً مـــن عقوبـــةٍ قـــد تنـــزلُ بـــه ، يقـــولُ قتـــادةُ: فـــي بيـــانِ معنـــى هـــذه القاعـــدةِ القرآنيـــةِ: " إنَّ اللهَ يخـــوفُ النـــاسَ بمـــا شاءَ من آيةٍ لعلهم يعتبرون، أو يذّكرون، أو يرجعون.

أيُّهـــا المؤمنـــونَ : ذُكـــرَ لنـــا أنَّ الكوفـــةَ رجفـــت علـــى عهـــدِ ابـــنِ مســـعودٍ، فقـــال:" يأيهـــا النـــاس إن ربكـــم يســـتعتبكم فـــأعتبوه " ،

وروى ابن أبي شيبةَ: في مصنفهِ من طريقِ صفيةَ بنتِ أبي عبيدٍ قالت: زُلزلت الأرضُ على عهدِ عمرَ حتى اصطفقت السررُ، فوافق ذلك عبدُ الله بنُ عمر وهو يصلي، فلم يدرِ، قال: فخطب عمرُ الناسَ وقال: لئن عادت لأخرجن من بين ظهرانيكم ، وهذا التوارثُ في كلماتِ السلفِ في بيانِ معنى هذه الآيةِ يؤكدُ أنَّ السببَ الأكبرَ في إرسالِ الآياتِ: هو تخويفُ العبادِ، وترهيبُهم ممّا يقعُ منهم من ذنوبٍ ومعاصٍ، لعلهم يرجعون إلى ربِّهم الذي أرسلَ لهم هذه الآياتِ والنذرَ، وإن لم يرجعوا فإنَّ هذه علامةُ قسوةٍ في القلبِ كما قالَ تعالى في سورةِ الأنعام: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (%) فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (%) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) (%).

وعمَّا روي عنِ ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه أنّه لمّا سمعَ بخسفٍ قال: " كنّا أصحابُ محمّدٍ صلى اللهُ عليه وسلّم نعدُ الآياتِ بركةً، وأنتم تعدونها تخويفاً "، ومعناه: لأنّا نخافُ بها فنزدادُ إيماناً وعملاً، فيكونُ ذلك لنا بركةً، وأنتم تعدونها تخويفاً ولا تعملون معها عملاً، يكون لكم به بركةٌ.

أيُّها المؤمنونَ : وإذا كنا لا ننكرُ أنَّ لزلزلةِ الأرضِ أسباباً جيولوجيةً معروفةً، وللفيضاناتِ أسبابَها وللأعاصيرِ أسبابَها

الماديـــةَ، وللكســـوفِ أســـبابَها الفلكيـــةَ ، فـــإنّ الســـؤالَ الـــذي يطـــرحُ نفسَـــه: مـــن الـــذي أمـــرَ الأرضَ أن تتحـــركَ وتضـــطربَ؟ ومـــن الـــذي أذنَ للمـــاءِ أن يزيـــدَ عـــن قـــدرِه المعتـــادِ فـــي بعـــضِ المنـــاطقِ؟ ومـــن الـــذي أمـــر الريـــاحَ أن تتحـــركَ بتلـــكِ الســـرعةِ العظيمـــةِ ؟ ومـــن الـــذي أمـــرَ الشـــمسَ أو القمـــر أن يتقـــدم أو يتـــأخرَ ؟ ألـــيس اللهُ ؟ ألـــيس الـــذي أرســـلها يريـــدُ مـــن عبـــادِه أن يتضـــرعوا لـــه، ويســـتكينوا لـــه لعلـــه يصـــرفُ عـــنهم هـــذه الآيـــاتِ ؟!

ثـــمّ مـــاذا يصـــنعُ هـــؤلاءِ الـــذين يهوّنـــون مـــن شـــأنِ هـــذه الآيـــات، شـــعروا أم لـــم يشـــعروا، قصـــدوا أم لـــم يقصـــدوا، بمثـــلِ تلـــك التفســـيراتِ الماديـــةِ البـــاردةِ، مـــاذا يصـــنعون بمـــا رواه البخـــاري ومســـلم عـــن عائشـــة زوج النَّبـــيُ صـــلى اللهُ عليـــه وســـلّم أنّهـــا قالـــت: كـــان النّبـــي صـــلى اللهُ عليـــه وســـلم إذا عصـــفت الـــريحُ، قـــالَ: " اللهـــمّ إنّـــي أســـألُك خيرَهـــا وخيـــرَ مـــا فيهـــا وخيـــرَ مـــا أرســـلت بـــه، وأعـــوذُ بـــك مـــن شـــرِّها وشـــرِّما فيهـــا وشـــرِّ مـــا أرســـلت بـــه " قالـــت:" وإذا تخيلـــت الســـماءُ- وهـــي ســـحابةٌ فيهـــا رعـــد وبـــرق يخيـــل إليـــه أنهـــا مـــاطرة- تغيـــر لونُـــه، وخـــرجَ ودخـــلَ، وأقبـــلَ وأدبـــرَ، فـــإذا مطـــرت ســـرّي عنـــه، فعرفـــتُ ذلـــك فـــي وجهِـــه، قالـــت عائشـــةُ : فســـألتُه؟ فقـــالَ: لعلـــه يـــا عائشـــةُ كمـــا قـــالَ قـــومُ عـــادٍ: (فلمّـــا رأوه عارضـــاً مســـتقبلَ أوديـــتهم قـــالوا هـــذا ، وجـــاءَ مـــن حـــديثِ أبـــي موســـى عنـــدَ عـــارضٌ ممطرُنـــا) البخـــاري قـــالَ "خَســـفت الشـــمسُ، فقـــام النّبـــي صـــلى اللهُ عليـــه

وسلم فزعاً، يخشى أن تكونَ الساعةُ ، فأتى المسجدَ، فصلى بأطولِ قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ رأيتُه قطُّ يفعله، وقال: هذه الآياتُ التي يرسلُ اللهُ ، لا تكونُ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، ولكن يخوّفُ اللهُ به عبادَه، فإذا رأيتم شيئاً من ذلك، فافزعوا إلى ذكرِه ودعائِه واستغفارِه ".

اللهمّ لا تؤخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين..

الخطبة الثانية

أيُّها المؤمنونَ : وأما ما يوردُه بعضُ الناسِ من قولهم: هناك بلادٌ أشدُّ معصيةً من تلك البلادِ التي أصابها ذلك الزلزالُ ! ويوجد دولٌ أشدُّ فجوراً من تلك التي ضربَها ذاك الإعصارُ ! ويوجد دولٌ أشدُّ كفراً من تلك البلاد التي جاءتها الآياتُ والنذرُ ! فهذه الإيراداتُ لا ينبغي أن تُوردَ أصلاً، لأنَّها كالإعتراضِ على حكمةِ اللهِ تعالى في أفعالِه وقضائِه وقدرِه، فإنَّ ربَّنا يحكمُ ما يشاءُ ويفعلُ ما يريدُ، واللهُ يقضي بالحقِّ، وربُّنا لا يُسأل عمّا يفعلُ ، وله سبحانه وتعالى الحكمةُ البالغةُ ، والعلمُ التامُ ، ومن وراء الابتلاءاتِ حكمٌ وأسرارٌ تعجزُ عقولُنا عن الإحاطةِ بها، فضلاً عن إدراكها.

اللهمّ ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر والطف بنا فيما جرت به المقادير..